دَوْر فلسطينيّي مناطق الـ 48 ومكانتهم في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ: قراءة في مواقف المجتمع الفلسطينيّ

د. امطانس شحادة ود. عميد صعابنة *

في موازاة محاولات إسرائيل فرض سياسات الأمر الواقع في المناطق المحتلّة عام 1967، وشبه إجماع بين الأحزاب الإسرائيليّة الأساسيّة يرفض إقامة دولة فلسطينيّة قابلة للحياة في الضفّة الغربيّة وقِطاع غزّة ويرى أنّ حلّ الدولتين غير واقعيّ ومن شأنه تهديد مستقبل دولة إسرائيل، وكذلك في ظلّ تزايد الممارسات القانونية والسياسيّة العنصريّة تجاه الفلسطينيّين داخل الخط الأخضر، نرى تطوّرًا جِدّيًّا في الوعي السياسيّ لدى الفلسطينيّين في إسرائيل؛ إذ يزداد الوعي بوجود عداء بين دولة إسرائيل والمواطنين العرب، وتلاشي وهْم تحقيق المساواة أو تغيير طابع الدولة إلى دولة مواطنين يترافق ببوادر عودة الخطاب إلى أصول الصراع الصهيونيّ-الفلسطينيّ والتعامل مع المشروع الصهيونيّ كمشروع استعماريّ استيطانيّ. قد يؤدّي هذا الوعي إلى نموّ خطاب سياسيّ لدى الفلسطينيّين في إسرائيل مُلخَّصُهُ أنّ ترتيب مكانتهم ومستقبلهم السياسيّين هو جزء من بنود حلّ القضيّة الفلسطينيّة (النزاع الإسرائيليّ الفلسطينيّ)، وليس على هامش التسوية، وأنّهم لا يشكّلون مسألة إسرائيليّة داخليّة فقط. هذا التحوُّل قد يؤهّل الفلسطينيّين في إسرائيل نحو القيام بدور فعّال في الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة في المستقبل القريب. على أنّ أيّ دَوْر مستقبليّ لا يتعلّق بقرار الفلسطينيّين في إسرائيل وحدهم، وينبغي أن يكون مشتركًا لفئات الشعب الفلسطينيّ ومركّبات الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة كافّة.

يقوم هذا المقال، بغية دراسة التحوّلات في الوعي السياسيّ لدى الفلسطينيّين في إسرائيل، ومكانتهم ودَوْرهم في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، يقوم بعرض وتحليل أوّليّ لنتائج استطلاع رأي عامّ تَناوَلَ مواقف المجتمع الفلسطينيّ على شقَّيِ الخطّ الأخضر تجاه دور فلسطينيّي الداخل في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ ومكانتهم داخله. بادر إلى الاستطلاع وأشرف عليه، بما في ذلك تحديد المواضيع وصياغة الأسئلة، مؤسّسةُ الدراسات الفلسطينيّة ومركزُ مدى الكرمل. نُفِّذ استطلاع مناطق الـ 67 بواسطة مقابلات شخصيّة لِعَيّنة تمثيليّة بلغ عدد أفرادها 1,200 مستطلَع تزيد أعمارهم عن 18 سنة في الضفّة الغربيّة وقِطاع غزّة، في الفترة الواقعة بين الـ 19 والـ 23 من آب عام 2015، أجراها مركز القدس للإعلام والاتّصال. بينما نُفّذ استطلاع مناطق الـ 48 بواسطة مقابلات هاتفيّة أجراها معهد "ستات نت" مع عيّنة تمثيليّة للمجتمع الفلسطينيّ في الداخل عدد أفرادها 588 مستطلَعًا في شهر أيلول عام 2015. تضمّن الاستطلاع أسئلة مشتركة تناولت مكانة ودَور فلسطينيّي الـ 48 في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، بينما تضمّن استطلاع الـ 48 عددًا إضافيًّا من الأسئلة تناولت مواقف المجتمع الفلسطينيّ تجاه دولة إسرائيل.[1]

النتائج: تَوافُقٌ في الوعي السياسيّ وتَبايُن في الأدوات

[1] عرضت نتائج الاستطلاع في مؤتمر نظّمته مؤسّسة الدراسات الفلسطينية ومركز مدى الكرمل بعنوان "دَور الفلسطينيّين في مناطق الـ48 ومكانتهم في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ" عقد في 7-9 من تشرين الثاني عام 2015 في جامعة بير زيت والناصرة.

سـأل الاستطلاع بداية عن الدور الحاليّ للفلسطينيّين في إسرائيل في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، فوجد أنّ قسمًا صغيرًا من المستطلَعين يعتقد أنّ هناك دَوْرًا كبيرًا (11% في مناطق الـ 48؛ 14% في مناطق الـ 67)، وأن قرابة ثلث المستطلَعين في المنطقتين يعتقدون أنّ الدَّوْر مقبول، وقسمًا أكبر يعتقد أنّه غير كافٍ (36% في الـ 48؛ 23% في الـ 67). بينما يرى قسم صغير أنّهم لا يمارسون أيّ دَور (انظروا الجدول 1). في موازاة هذا، يتّضح (من السؤال التالي) أنّ غالبيّة المستطلَعين تعتقد أنّ هناك حاجة إلى زيادة دور الفلسطينيّين في الـ 48 في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ.

الجدول 1: ما هو تقديرك للدور الحاليّ الذي يقوم به فلسطينيّو مناطق الـ 48 في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ؟ (النسبة المئويّة)

الإجابات	مناطق الـ 48	مناطق الـ 67
دَوْر كبير	**11**	**14**
مقبول	**29**	**35**
غير كافٍ	**36**	**23**
لا دَوْر لهم	**19**	**13**
لا أعرف /لا إجابة	**5**	15
المجموع	**100**	**100**

أمّا بالنسبة لدور الفلسطينيّين في المستقبل، فقد وجدنا أنّ 55% من المستطلَعين في كلتا المنطقتين يعتقدون أنّه من المفروض أن يكون للفلسطينيّين في مناطق الـ 48 دور أكبر في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ (انظروا الجدول 2)؛ بينما قال رُبع المستطلَعين أنّ المطلوب هو الحفاظ على دورهم الحاليّ، ونسبة صغيرة جدًّا ترى أنّ المطلوب هو تقليص دورهم. بالإمكان القول إنّ هذا الموقف يعكس رغبة في إشراك الفلسطينيّين في الداخل في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ من قبل فئات المجتمع الفلسطينيّ كافّة. هذه المواقف قائمة على الرغم من غياب أيّ عمل سياسيّ حزبيّ مشترك منظّم بين شقَّيِ الخطّ الأخضر وغياب برنامج سياسيّ مشترك واضح وقويّ يطرح هذه الحلول.

الجدول 2: بالنسبة إلى مستقبل المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، ما هو تقديرك للدَّوْر المطلوب من الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 في هذا المشروع؟ (بالنسبة المئويّة)

الإجابات	مناطق الـ **48**	مناطق الـ **67**
مطلوب دَوْر أكبر من دورهم الحاليّ	**56**	**55**
مطلوب الحفاظ على دَوْرهم الحاليّ	**24**	**26**
مطلوب دَوْر أقلّ نسبيًّا	**3**	**2**

ليس مطلوبًا منهم دَورٌ يُذكر	**10**	**4**
لا أعرف /لا إجابة	7	13
المجموع	***100***	*100*

تعزيزًا لنتائج الأسئلة السابقة، نجد أنّ غالبيّة كبيرة من المستطلعين في مناطق الـ 67 ومناطق الـ 48 ترى أنّ حلّ القضيّة الفلسطينيّة هو شأن جميع الفلسطينيّين، أي الفلسطينيّين الذين في الضفّة الغربيّة، وفي قِطاع غزّة، واللاجئين بمن في ذلك الفلسطينيّون في مناطق الـ 48 أيضًا، وأنّ دور الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 لا يقتصر على الدعم والتأييد دون أخذ دَوْر فاعل، كما يتّضح من السؤال التالي (انظروا الجدول 3).

الجدول 3: سأطرح عليك مقولتين بخصوص دَور الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 في ما يتعلّق بحلّ القضيّة الفلسطينيّة: الأولى هي أنّ حلّ القضية الفلسطينيّة هو في الأساس شأن الفلسطينيّين في الضفّة الغربيّة، وقِطاع غزّة واللاجئين، وأنّ دَوْر الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 يقتصر على الدعم والتأييد دون أخذ دَوْر فاعل؛ والثانية هي أنّ حلّ القضيّة الفلسطينيّة هو شأن جميع الفلسطينيّين أي الفلسطينيّين في الضفّة الغربيّة، وقِطاع غزّة، واللاجئين بمن في ذلك الفلسطينيّون في مناطق الـ 48 أيضًا. أيًّا من المقولتين تؤيّد أكثر؟ (بالنسبة المئويّة)

الإجابات	مناطق الـ 48	مناطق الـ 67
المقولة الأولى	**27**	16
المقولة الثانية	**67**	**76**
لا أعرف /لا إجابة	6	9
المجموع	**100**	**100**

بالإضافة إلى الموقف الداعم لمقولة أنّ حلّ القضيّة الفلسطينيّة هو شأن جميع الفلسطينيّين أي الفلسطينيّين في الضفّة الغربيّة، وقِطاع غزّة، واللاجئين بمن في ذلك الفلسطينيّون في مناطق الـ 48 أيضًا، نجد أنّ غالبيّة المستطلَعين من مناطق الـ 67 ترى أنّ هناك حاجة ملحّة أن يكون للفلسطينيّين في مناطق الـ 48 تمثيل جِدّيّ في المؤسّسات السياسيّة الوطنيّة الفلسطينيّة، بينما يرى رُبع المستطلَعين من مناطق الـ 48 حاجة ملحّة في ذلك ونسبة 15% ترى حاجة غير ملحّة في ذلك، ويرى 51 % منهم أنّه لا حاجة إلى هذا (انظروا الجدول 4). معنى هذا أنّ الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 منقسمون حول هذه القضيّة، على العكس من الفلسطينيّين في مناطق الـ 67، وأنّ هناك اختلافًا بين مواقف الفلسطينيّين في مناطق الـ 67 ومناطق الـ 48. غالبيّة الفلسطينيّين في إسرائيل ترى حاجة إلى دَوْر أكبر في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، لكنّها لم تحسم موضوع الأدوات للقيام بهذا الدور، إذ لا نجد، على سبيل المثال، أغلبيّة ترى أنّ هذا الدَّوْر قد يكون عن طريق المؤسّسات الوطنيّة الفلسطينيّة، وقد يعبّر هذا الموقف عن عدم وضوح للمشروع الوطنيّ ووظائف المؤسّسات الوطنيّة، أو عن مخاوف من ردّة الفعل الإسرائيليّة.

الجدول 4: هل ترى حاجة إلى أن يكون للفلسطينيّين في مناطق الـ 48 تمثيل جِدّيّ في المؤسّسات السياسيّة الوطنيّة الفلسطينيّة؟ (بالنسبة المئويّة)

الإجابات	مناطق الـ 48	مناطق الـ 67
أرى حاجة مُلِحّة	**26**	**56**
أرى حاجة غير مُلِحّة	**15**	**17**
لا أرى أيّ حاجة	**51**	**13**
لا أعرف /لا إجابة	8	14
المجموع	***100***	***100***

عدم وضوح أدوات العمل أو كيفيّة إشراك الفلسطينيّين من مناطق الـ 48 في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ تتّضح أيضًا بواسطة الإجابات عن السؤال: "في أيّ إطار سياسيّ يجب أن يتركّز دَوْر فلسطينيّي مناطق الـ 48 أكثر؛ في إطار المؤسّسة الرسميّة الإسرائيليّة (الكنيست -على سبيل المثال)، أَم في إطار المؤسّسة الرسميّة الفلسطينيّة (على سبيل المثال: المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ)"؟ إذ نجد أنّ الخيارات أوضح لدى المستطلَعين في مناطق الـ 67، فقد أجاب 50% منهم أنّه يجب العمل في إطار المؤسّسة الرسميّة الفلسطينيّة (على سبيل المثال: المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ)، و34% في إطار المؤسّسة الرسميّة الإسرائيليّة -على سبيل المثال: الكنيست- (انظروا الجدول 5). بينما لدى المستطلَعين في مناطق الـ 48، لا نجد موقفًا واضحًا يختار أحد البدائل؛ فقد اختار 32% من المستطلَعين العمل في إطار المؤسّسة الرسميّة الإسرائيليّة، وَ 6% اختاروا العمل في إطار المؤسّسة الرسمية الفلسطينيّة، واختار 49% الإجابتين معًا، أي إنّ الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 لا يرون الكنيست لوحده الإطار المناسب للعمل من خلاله في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، ولا المؤسّسات الفلسطينيّة وحدها، بل بالدمج بينهما.

الجدول 5: بالنسبة للمشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، باعتقادك، في أيّ إطار سياسيّ يجب أن يتركّز دَوْر فلسطينيّي مناطق الـ 48 أكثر؛ في إطار المؤسّسة الرسميّة الإسرائيليّة (على سبيل المثال: الكنيست)، أَم في إطار المؤسّسة الرسميّة الفلسطينيّة (على سبيل المثال: المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ)؟ (بالنسبة المئويّة)

الإجابات	مناطق الـ 48	مناطق الـ 67
في إطار المؤسّسة الرسميّة الإسرائيليّة (على سبيل المثال: الكنيست)	**32**	**34**
في إطار المؤسّسة الرسميّة الفلسطينيّة (على سبيل المثال: المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ)	**6**	**51**
الإجابتان السابقتان معًا	49	--
غير ذلك (إجابة أخرى)	2	--

لا أعرف /لا إجابة	11	15
المجموع	***100***	***100***

تشير هذه النتائج أنّ هناك موقفًا واضحًا إلى حدّ ما بشأن الحاجة إلى إشراك الفلسطينيّين في إسرائيل في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، وبشأن أن يأخذوا دَوْرًا فعّالًا في المشروع الوطنيّ، وأن يسهموا في حلّ القضيّة الفلسطينيّة، إلّا أنّ هناك عدم وضوح أو عدم اتّفاق بصدد الأدوات.

في هذا الواقع، نجد أنّ غالبيّة المستطلَعين في مناطق الـ 48 (60%) اختاروا حلّ الدولتين مقابل 44% في مناطق الـ 67، بينما حظِيَ خيار حلّ الدولة الواحدة على دعم 28% من المستطلَعين في مناطق الـ 48، وَ 21% في مناطق الـ 67 (الجدول 6). بَيْدَ أنّ هذا التباين منطقيّ في ظلّ غياب مشروع سياسيّ واضح ومُمَأْسَس لحلّ الدولة الواحدة لدى التيّارات السياسيّة الأساسيّة في مناطق الـ 48 التي تطالب منذ احتلال الضفّة الغربيّة وقِطاع غزّة عام 1967، وما زالت، بإقامة دولة فلسطينيّة إلى جانب دولة إسرائيل، كما أنّ هذا هو مطلب منظّمة التحرير الفلسطينيّة منذ ثمانينيّات القرن المنصرم، أي إنّه المطلب المهيمن على المشهد الفلسطينيّ.

الجدول 6: البعض يعتقد أنّ صيغة الدولتين هي الحلّ المفضّل للنزاع الإسرائيليّ الفلسطينيّ، بينما يعتقد البعض الآخر أنّ فلسطين التاريخيّة لا يمكن تقسيمها إلى دولتين، وبالتالي فإنّ الحلّ المفضل هو دولة واحدة ثنائيّة القوميّة في كلّ فلسطين يتمتّع فيها الفلسطينيّون والإسرائيليّون بتمثيل متساوٍ وحقوق متساوية. أيًّا من هذين الحلّين تفضّل؟ (بالنسبة المئويّة).

الإجابات	مناطق الـ 48	مناطق الـ 67
أفضّل حلّ الدولتين: فلسطينيّة وإسرائيليّة	**60**	**44**
أفضّل حلّ الدولة الواحدة ثنائيّة القوميّة في كلّ فلسطين	**28**	**21**
أفضّل حلًّا آخر	**1**	**1**
ليس هنالك حلّ	**3**	**14**
دولة فلسطينيّة*	--	**17**
دولة إسلاميّة*	--	**1**
لا أعرف	**4**	**0**
لا إجابة	**3**	**0**
المجموع	**100**	**100**

* هذه الإجابات لم تكن من ضمن الخيارات المعطاه للمستطلَع من مناطق الـ 67.

على الرغم من أنّ غالبيّة المستطلَعين من مناطق الـ 48 ما زالت تدعم حلّ الدولتين، ولا تعتقد أنّ هناك حاجة إلى العمل من خلال المؤسّسات الوطنيّة الفلسطينيّة، نجد أنّ أكثر من نصف المستطلَعين (53%) في مناطق الـ 48 يعتقدون أنّ هناك مستقبلًا سياسيًّا مشتركًا بين الفلسطينيّين في إسرائيل والفلسطينيّين في الضفّة الغربيّة. يعني هذا أنّ الخيارات السياسيّة للفلسطينيّين في إسرائيل لم تُحسم بعد (الجدول 7).

الجدول 7: هل تعتقد أنّ هنالك مستقبلًا سياسيًّا مشتركًا بين الفلسطينيّين في إسرائيل والفلسطينيّين في الضفّة الغربيّة وقِطاع غزّة؟ (بالنسبة المئويّة)

	مناطق الـ 48
1. نعم	**53**
2. لا	**47**
المجموع	**100**

خاتمة

استنادًا إلى نتائج الاستطلاع، يمكن القول إنّ هناك تقاربًا في مواقف المجتمع الفلسطينيّ في مناطق الـ 67 ومناطق الـ 48 المتعلّقة بأهمّيّة دَوْر الفلسطينيّين في إسرائيل في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، وبأهمّيّة زيادة هذا الدور وتعزيزه. الاختلاف يكمن في الأدوات. عدم وضوح وظائف وأدوار الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 في المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ والأدوات لترجمة هذا الدور لا يعود إلى رضى الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 عن مكانتهم المدنيّة والقانونيّة في دولة إسرائيل، ولا ينمّ عن اعتقادهم بأنّ مصيرهم السياسيّ منفصل عن مصير سائر الشعب الفلسطينيّ، ولا بسبب اقتناعهم بأنّ إسرائيل هي دولة ديمقراطيّة، ولا بسبب اعتبار القضايا اليوميّة المعيشيّة أكثر أهمّيّة من القضيّة القوميّة، ولا لكون إسرائيل توفّر لهم الحقوق وتعمل لمصلحتهم، على نحوِ ما توضّحه نتائجُ الأسئلة الخاصّة بمناطق الـ 48 (والتي لم تُعرض نتائجها في هذا التقرير).

من العوامل الأساسية التي قد تفسّر عدم الوضوح هذا ما يتعلّق بعدم طرح أيّ حزب عربيّ في إسرائيل دَوْر فلسطينيّي الـ 48 في المشروع الوطنيّ كبرنامج سياسيّ مبلور ومتكامل. ففي الوضع الحاليّ، هناك ثلاثة تيّارات سياسيّة مركزيّة تعمل لدى المجتمع الفلسطينيّ في الداخل تختلف في تصوُّراتها لدَوْر ووظائف الفلسطينيّين في إسرائيل في المشروع الوطنيّ وفي طرحها لكيفيّة تغيير مكانة الفلسطينيّين في إسرائيل:

- التيّار الشيوعيّ الإسرائيليّ ما زال ملتزمًا بالفكر الشيوعيّ، ويرمي إلى إقامة نظام اشتراكيّ، ويطالب بتغيير السياسات تجاه الفلسطينيّين في الداخل وإنهاء التمييز العنصريّ وإنهاء الاحتلال. يرى هذا التيّار أنّ إنهاء الاحتلال في مناطق الـ 67 هو الخطوة الأساس وجوهر الصراع. إنهاء الاحتلال بمقدوره أن يحوّل إسرائيل إلى دولة ديمقراطيّة.

- التيّار الإسلاميّ يتبنّى إستراتيجيّة دولة الخلافة، ولا يطرح برنامجًا سياسيًّا واضح المعالم خاصًّا بحالة الفلسطينيّين في إسرائيل، ويكتفي بتنظيم المجتمع على أساس دينيّ.

- التيّار القوميّ يطرح مشروعًا سياسيًّا يتعامل مع خصوصيّة الفلسطينيّين في إسرائيل، ويطرح، لغاية الآن، إقامة دولة فلسطينيّة إلى جانب دولة إسرائيل كدولة المواطنين، والاعتراف بالحقوق الجماعيّة للفلسطينيّين في إسرائيل. من طرح التيار القوميّ يمكن الاستنتاج أنّ تغيير طبيعة إسرائيل وتفكيك الحالة الاستعماريّة هو شرط ضروريّ لإنهاء الاحتلال وتغيير مكانة الفلسطينيّين في الداخل. إنهاء الاحتلال وحده هو شرط غير كافٍ.

نتائج استطلاع الرأي العامّ تكشف النقاب عن أنّه في الإمكان تطوير الطرح السياسيّ الذي يرى في تفكيك المشروع الاستعماريّ الاستيطانيّ الصهيونيّ خطوة ضروريّة لإنهاء الاحتلال وتغيير مكانة الفلسطينيّين داخل إسرائيل. على أنّ تفكيك هذه المنظومة يتطلّب وضع مشروع فلسطينيّ مشترك يتّفق على الأهداف الوطنيّة الجامعة وعلى الثوابت الفلسطينيّة، ويأخذ بعين الاعتبار أدوات العمل المتاحة لكلّ فئة من فئات الشعب الفلسطينيّ. الهدف مشترك، والاختلاف هو في الأدوات.

*** د. امطانس شحادة، مدير البرامج البحثيّة في مدى الكرمل.**
د. عميد صعابنة، زميل بحث ومسؤول وحدة استطلاعات الرأي العامّ في مدى الكرمل.